الصورة الثّابتة والبيداغوجيا

الطالبة: حصباية هيــفاء
الدكتور: بن مسعود محمد العربي
مخبر المصطلح والمخطوط والأدب الجزائري المكتوب في الصحافة
جامعة زيّان عاشور بالجلفة (الجزائر)

ملخص البحث:
تهدف هذه الدراسة إلى بيان الدور البيداغوجي الذي تضطلع به الصورة بوصفها وسيطا في العملية التعليمة-التّعلمية، وإبراز وظيفتها الفعّالة في توصيل المعرفة وبناء التّعلمات وتشكيل شخصية المتعلم، وذلك بفضل خصائصها وميزاتها،فقد أكدت كثير من الدراسات "أنّ الناس يتذكرون 10 فقط ممّا يسمعون، و30 فقط ممّا يقرؤونه، في حيت يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو يقومون به إلى 80"[1].

يعني هذا أنّ الفرد يدرك الأشياء التي يراها إدراكا أفضل وأوضح ممّا لو قرأ عنها أو سمع شخصا يتحدث عنها، وبحكم ما تقوم به الصورة من دور في نقل صورة الواقع إلى الفصل الدراسي، وما تختزنه من معارف ودلالات حول هذا الواقع وتجسيده بصريا، فقد أصبحت أحد أهم الدعامات التي تخدم النشاطات التعليمية، وغدى تنزيلها في الحقل التعليمي أمرا أساسيا في إنجاح العملية التعليمية-التّعلمية.

Research Summary:

This study aims at explaining the pedagogic role played by the image as a mediator in the teaching-learning process and highlighting its effective function in conveying knowledge, constructing learning and shaping the personality of the learner, thanks to its characteristics and features. "Many people remember only 10 of what they hear, And only 30 of what they read, even as they remember what they see or do. "

This means that the individual understands things that he sees better and clearer than if he read about them or heard a person talking about them, and because of the role played by the image in the transfer of the picture of reality to the classroom, and the store of knowledge and indications about this reality and visualize it, The most important pillars that serve educational activities, and the download in the field of education is essential to the success of the educational process - learning.

مقدمة:

إنّ استعمال الصورة بوصفها دعامة في العملية التعليمية-التّعلمية أصبح ضرورة ملحّة، لا تمليها الحاجة فحسب، بل لأنّ العصر الذي نعيشه هو عصرها بامتياز، ذلك أنّ الصورة من شأنها أن تقوم بدور فعّال في إنجاح الرسالة التعليمية بفضل ما تتوافر عليه من ميزات وخصائص. والمتعلم بصفة عامة والطفل خاصة ينجذب إلى الصورة المثيرة ويتعلم من خلالها الكثير، خاصة إذا كان هذا المتعلم طفلا في المراحل الأولى من تعليمه، "لأنّه لا يتعلم إلّا بالمحسوس أو الملموس أو المشخّص حسب التصور النفسي المعرفي لجان بياجيه Jean Piaget، وأكثر من هذا فالطفل المتعلم يقبل كثيرا على الكتب والمجّلات التي تستخدم

الصور، فينساق إلى جمالياتها الفنية، ويتأثر بأشكالها البصرية، ويندهش لألوانها الزاهية المثيرة ويتيه مع عوالمها التّخيلية، سواء أكانت واقعية أو احتمالية أم مستحيلة. كما يتلذّذ بظلالها الجذابة، ويتمثّل رسائلها الهادفة"[2]. ومن ثمّ فالطفل المتعلم ينجذب إلى الصورة المرئية أكثر من درس جاف تهيمن عليه لغة تواصلية لفظية من بداية الحصة إلى نهايتها.

إشكالية المقال وتساؤلاته:

- ماذا نقصد بالصورة عموما والصورة البيداغوجية خصوصا؟
- وماهو الدور المنوط بالصورة البيداغوجية في تطوير وإنجاح العملية التعليمية-التعلمية؟
- ماهي المعايير والمواصفات التي يجب أن تتوفر في الصورة البيداغوجية لأداء وظيفتا؟

1-في ماهية الصورة:

يشغل المعطى البصري اهتمام الكثير من الباحثين، من حيث أصبح يشكل كيانا قادرا على حمل وإنتاج المعاني والدلالات وتحقيق التواصل شأنه في ذلك شأن المعطى اللساني. ولا يمكن إنكار أننا "نعيش في عصر ثقافة ما بعد المكتوب، عصر الصورة، والمجتمع الفرجوي، وأنّه من المعروف أنّ المعركة التي تدور رحاها اليوم بين الدول الصناعية الكبرى، وهيمنتها على الدول الفقيرة، هي معركة السيطرة على الصورة بشتّى أشكالها، ومختلف معانيها، بدءًا بالصورة التلفزيونية المباشرة عن طريق الاقمار الصناعية، والصور السنيمائية، وأفلام الكارتون، و وصولا إلى الصورة في مجال الإشهار، وكتب الأطفال، وهي ليست محايدة، بل تحمل أهدافا ورسالة"[3].

تعريف الصورة لغة:

أعطيت للصورة عدّة تعاريف حسب المعاجم والموسوعات والمؤلفين، نذكر منها ما يلي:

الصورة في اللغة العربية مأخوذة من مادة (ص و ر) :"الصورة هي الشكل، والجمع صُوَرٌ، وقد تَصَوّرْتُهُ فتصوّرَ، وتصورتُ الشيء: توهمت صورته، فتصوّرَ لي، والتصاوير التماثيل"[4].

وقال ابن الأثير: "الصورة ترد في لسان العرب –أي لغتهم- على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"[5].

إذن، تحمل الصورة في اللغة العربية معنى: التمثيل للشيء أو وصفه وتجسيده، أو التدليل عليه. ويذكر أصحاب المعجم الوسيط في معنى وصف وتجسيد الشيء قولهم: "صوَّرَهُ جعل له صورة مجسّمة، وفي التنزيل العزيز:(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ)، صوَّرَ الشيء أو الشخص رسمه، صوَّرَ الأمر كذا وصفه وصفا يكشف عن جزئياته، تصوّر الشيء تكونت فكرة عنه..."[6]

وعليه، يصبح "أصل اشتقاق الصورة من صاره على كذا أي أماله إليه، فالصورة مائلة إلى شبه أو هيئة، والتصوير جعل الشيء على صوره والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف"[7]

والصورة عند الفلاسفة "جسمية ونوعية، والنوعية تمام حقيقة الشيء وماهيته، ومن أقوالهم: صورة الشيء هي ماهيته التي بها هو ما هو. ولنا أن نعطف عليه: الهيولى هي البدن، والصورة هي الروح ويقول الملا صدرا في الاسفار: الصورة ما يكون به الشيء هو هو بالفعل"[8]

وإذا ما بحثنا عن أصل كلمة صورة Image، "فسنجدها تمتدّ بجذورها إلى الكلمة اليونانية القديمة Icon، والتي تشير إلى الشبه والمحاكاة، والتي ترجمت إلى Imago في اللاتينية، وImage في الإنجليزية، ولقد لعبت هذه الكلمة ودلالاتها دورا مهما في فلسفة أفلاطون، وكذلك في تأسيس كثير من أنظمة التمثيل أو التمثّل Représentation للأفكار والنشاطات في الغرب"[9]

أمّا في قاموس روبيرRobert "فتعرّف بأنها إعادة إنتاج طبق الأصل، أو تمثيل مشابه لكائن أو لشيء"[10]. أي أنّ الصورة تعرّف بفكرة التشابه والتمثيل، والتي تعتبر الميزة الأساس في تعريفها.

الصورة في الاصطلاح:

تعرّف الصور "في علم البصريات بأنها تشابه أو تطابق للجسم، تنتج بالانعكاس أو الانكسار للأشعة الضوئية، وتتكون أيضا بواسطة الثقوب الضيقة، وبهذا فإن الصورة الحقيقية هي نتاج تلاقي الأشعة على الحاجز"[11]

والصورة عند Fulchignoni هي "كل تقليد تمثيلي مجسّد، أو تعبير بصري معاد، وهي معطى حسي للعضو البصري، أي إدراك مباشرة للعالم الخارجي في مظهرة المضيء"[12].

أما في الاصطلاح السيميائي فإنّ الصورة "تنضوي تحت نوع أعمّ يطلق عليه مصطلح الأيقونIcone، وهو يشمل العلامات التي تكون فيها العلاقة بين الدال والمرجع قائمة على المشابهة والتماثل"[13].

وتتعدّد تعاريف الصورة في ميدان السيميائيات باختلاف وتعدّد منطلقات الباحثين في هذا الميدان، "فالصورة عن بارت Barth نسق سيميولوجي يشتمل على ثلاث مكوّنات: دال ومدلول، العلاقة التي تجمعها، وتعتبر الصورة رسالة، وهذه الرسالة في ذاتها حاملة لرسالة ثانية هي ما يسميه الأسطورة، بل وبذهب بارت أبعد من هذا فيسمي (الرسالة الأولى) نسقا سيميولوجيا أوليا، ويسمى الأسطورة (نسقا سيميولوجيا ثانيا) يجد دعامته في النسق الأوّل. وهكذا يصبح النسق السيميولوجي الأول بمثابة دال فقط لمدلول هو النسق السيميولوجي الثاني"[14]

أمّا مارتين جولي Martine Joly "فتقرّ بأنّ تعريف الصورة صار شيئا صعبا، لأنه لا يمكن إيجاد تعريف شامل لكل استعمالاتها، مثل رسومات الأطفال dessin d’enfants، والأفلام les films، الرسومات الجدارية والانطباعية une pariétale ou Impressionniste، المعلقات les affiches، الصور الذهنية une image mentale، صور العلامة التجارية une image de marque commerciale، لكن ما يجب التأكيد عليه أنها مهمة جدا في التواصل الثقافي"[15].

وعلى الرغم من كثرة وتنوع تعاريف الصورة، اللغوية منها والاصطلاحية، إلّا أنها تشترك جميعها في أهم مميزات الصورة، وهي: التمثيل والمشابهة والنسخ، أي أنها تعتمد على مبدأ المحاكاة في تصوير وتجسيد موضوعاتها.

2- أنواع الصورة البصرية الثابتة:

هناك أنواع كثير للصورة البصرية الثابتة، ارتأينا أن نذكر منها: الصورة الفوتوغرافية، الصورة الرقمية، الصورة الإشهارية، الصورة الكاريكاتورية، الصورة البيداغوجية.

2-1 الصورة الفوتوغرافية:

وتعدّ من أهمّ أنواع الصورة الثابتة، وذلك نتيجة للتطور الكبير الذي أحرزه الفن الفوتوغرافي منذ أن برز إلى الوجود في أواخر القرن الثامن عشر، فمع اختراع التصويرالفوتوغرافي أصبح بالإمكان اليوم إنتاج صور تشبه الواقع كثيرا، حيث أصبحت الصورة الفوتوغرافية وسيلة عالمية للتواصل.

تعرّف الصورة الفوتوغرافية "بأنها الصور التي تلتقط بواسطة آلات التصوير المعروفة، وقد تكون هذه الصور لأشخاص أو مناظر طبيعية أو أشياء يستخدمها الإنسان في حياته أو غير ذلك"[16]، وتعتبر اختصارا للواقع الحقيقي مساحة وحجما و زاوية ومنظورا وتكثيفا وخيالا وتخييلا، "وتتميز الصور الفوتوغرافية بطابعها المهني / التقني، وطابعها الفني والجمالي، وطابعها الرمزي والدلالي، وطابعها الإيديولوجي والمقصدي. كما تتشكل الصورة الفوتوغرافية من الدال والمدلول والعلاقات التي تجمع بينهما. ويعني هذا أن الصورة الفوتوغرافية، باعتبارها صورة واصفة للواقع، يمكن إخضاعها لثنائية التعيين والتضمين، وثنائية الاستبدال والتأليف، وثنائية الدال والمدلول، وثنائية التزامن والتعاقب"[17].

والصورة الفوتوغرافية، وبالرغم من كونها شبيهة بالواقع، إلّا أنها لا تعطي بالضرورة معلومات حقيقية، "فهي تستطيع أن تكشف أو تخبئ أشياء، ولهذا من المفيد تحليلها كما نحلل الكلام أو الكتابة سواء بسواء"[18]

وتتكون الصورة الفوتوغرافية من "العلامات الأيقونية أو البعد الأيقوني(وجوه- أجساد- طبيعة- حيوانات...)، والعلامات التشكيلية أو البعد التشكيلي (أشكال – خطوط - ألوان- التركيب...)، ومن السند والمتغير، مثل: رأس فوقه طربوش، فالطربوش هو سند. أما المادة، فهي المتغير؛ لأنه قد يكون من صوف أو من قطن أو من جلد أو من قصب... فالمتغير هو الذي يحدد المعنى، ويساعد السيميائي على رصد آثار المعنى. ومن ثم، يتم الانتقال من التحليل السيميائي إلى عملية التأويل، والبحث عن العلامات المرجعية والرسائل المشفرة ومجمل المقاصد المباشرة وغير المباشرة، وتحديد رؤية الفوتوغرافي إلى العالم"[19].

2-2 الصورة الرقمية:

تختلف الصورة الرقمية عن الصورة الفوتوغرافية في أنها صورة مولّدة من خلال الكمبيوتر، أو على الأقل معزّزة به، وهي عبارة عن تمثيل رقمي (قيمة ثنائية صفر وواحد) لشيء مادي

يمكن رؤيته بالعين البشرية، يتمّ إدخالها (بواسطة الكاميرا الرقمية أو الماسح الضوئي) إلى الكمبيوتر بغرض التخزين أو التعديل عليها.

و"تتميز هذه الصورة بطابعها التقني والرقمي والافتراضي. ومن ثم، فهي صورة متطورة وعصرية ووظيفية، مرتبطة بالحاسوب والشبكة الرقمية. ويمكن - الآن- أن نجد كل الصور المرغوبة فيها، دون اللجوء إلى التشكيلي أو الفوتوغرافي، فثمة صور موجودة بكثرة داخل العوالم الإلكترونية الرقمية هنا وهناك، يختار الإنسان منها ما يشاء"[20]. تبيّن لها هذا مدى سهولة الوصول للصورة الرقمية والتعامل معها ومعالجتها وتعديلها وتخزينها.

2-3 الصورة الكاريكاتورية:

الكاريكاتور هو فن أوروبي، "ظهر كنوع فني متميّز يستهدف النقد الاجتماعي والسياسي في أوروبا في القرن السابع عشر. والأصل اللغوي لكلمة (كاريكاتور) إنها تأتي من الفعل اللاتيني Caricare، ... والذي يعني حرفيا (يُغيّر)، وفي الحقيقة فإن هذا المعنى يستجيب إلى وظيفة الكاريكاتور، التي هي تغير سمات الوجه، تضخيمها أو تصغيرها بشكل مفرط"[21].

ويعرّف كذلك، "بأنه الرسم التخطيطي الذي يستهدف التعبير والتعليق على الآراء والأفكار والأحداث والتطورات والقضايا على شتى المجالات، ويقدمها بطريقة هزلية ساخرة، يعمد فيها رسام الكاريكاتير إلى نقد هذا الواقع بشيء من الطرافة والمبالغة، والإنسان الكاريكاتوري هو فنان أو رسام يشتغل بالكاريكاتير ويتميز بأنه حاد الذكاء وواسع الاطلاع، وموهوب في تصوير ونقل الواقع والاحداث في قوالب هزلية ساخرة"[22].

يتّضح من خلال التعريفات السابقة أن الصورة الكاريكاتورية توظف في التعبير عن الرأي وانتقاد الأوضاع المحيطة بالفرد (السياسية والاجتماعية والثقافية...) بأسلوب نوعي يستميل المتلقي، وهذا أمر إيجابي يستحق التشجيع، لكن من ناحية أخرى قد تستغل هذه الصورة في مجال السخرية والاحتقار والهجاء والتقبيح، وهذا غير مقبول في قافتنا الإسلامية. "فلايمكن قبول هذه الصورة إلا إذا كانت هادفة وبناءة ومثمرة، تحمل رسائل سياسية مباشرة أو غير مباشرة في خدمة المطلوب أو الغرض أو المقصد النبيل"[23].

2-4 الصورة الإشهارية:

يعرّف الإشهار بأنه "وسيلة ضرورية من وسائل البيع، إنه أداة التوسط المثلى بين عارض لبضاعة وزبون... إنه تواصل يعتمد خطاطة تواصلية أحادية الاتجاه تتحقق من خلال وسائط وأسناد متنوعة، وذلك من أجل الترويج لمنتج أو ماركة أو شركة أو قضية أو مرشح يمكن التعرف عليه من خلال الإرسالية"[24].

وصناعة الاشهارات ليست من الفنون المستحدثة، "وإنما هي قديمة قدم التاريخ، فقد بدأ الإشهار على أشكال تطورت بمرور القرون حتى أصبح فن الإشهار كما نعرفه الآن، ففي مصر القديمة قام التجار باستئجار منادين يجولون الشوارع معلنين عن وصول سفنهم وبضاعتهم. وفي حدود القران العاشر ميلادي تفشّت ظاهرة المنادين في كثير من المدن الاوروبية...، أي أنّ الإشهار في البداية أخذ الشكل الشفهي المسموع، ويرى معظم المؤرخين أن اللافتات الخارجية على

المتاجر هي أول أشكال الإشهار"[25]. وبعد اختراع المطبعة "سنة 1436 وبروز الصحافة إلى الوجود ظهرت الحاجة إلى الإعلان والإشهار، فقد رافق الإعلان الذي كان يطلق عليه اسم (نصائح وإرشادات) الصحافة منذ أوائل عام 1625، ومع تطور الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في القرن التاسع عشر شهد (الإعلان) أول نقلة كمية ونوعية، وذلك تحت ضغط طلبات القطاع الصناعي الذي استعان به في الترويج لبضاعتهم، ونتيجة لذلك أصبحت الإشهارات من أهم إيرادات الصحف والمجلات، وعنصر أساسي في اقتصاد السوق"[26].

وتعرّف الصورة الإشهارية بأنها "الصورة الإخبارية والإعلامية، التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا، والتأثير عليه حسيا وحركيا، لدفعه قصد اقتناء بضاعة أو منتوج تجارية ما"[27]. ويعني هذا أن الإشهار بمثابة بث وإعلان وإخبار وتبليغ، لمنتوج أو خدمة ما، وذلك بغية إيصالها إلى المتلقي.

2-5 الصورة البيداغوجية:

نقصد بالصورة البيداغوجية تلك الصورة الموظفة في مجال التربية والتعليم، والتي تحمل مضامين معرفية وقيّمية هادفة قصد تحقيق أهداف تعليمية وتربوية مخطط لها مسبقا.

أي "أنّ الصورة التربوية هي التي تحمل في طياتها قيما بناءة وسامية، تخدم المتعلم في مؤسسته التربوية والتعليمية بشكل من الأشكال. وقد تتنوع هذه الصورة في أشكالها وأنماطها وأنواعها، لكن هدفها واحد هو خدمة التربية والتعليم"[28]، وتندرج هذه الصورة كذلك ضمن ما يسمى بوسائل الإيضاح. ومن ثم، يستعمل المدرس الصورة البيداغوجية لبناء الدرس شرحا وتوضيحا واستثمارا واستكشافا واستنتاجا وتقويما.

أهميّة الصورة في العملية التعليمية-التّعلمية:

تكمن أهمية الصورة البيداغوجية في قوّة دلالتها وقربها من واقع المتعلم الذي يميل بطبعه إلى الأشكال والألوان، إضافة إلى أنها تمتلك مجموعة من الخصائص والسّمات تجعلها فاعلة في ميدان التربية والتعليم، يمكن اختصار هذه السّمات فيما يلي:[29]

- تعدّ عامل تشويق وإثارة لما يدرسه المتعلمون، وحافزا لهم على التعلم.
- تشجع المتعلمين على الملاحظة والتفكير الناقد، وإظهار الواقع والأشياء على حقيقتها.
- تعدّ الصورة أدق من الكلمات في حالات كثيرة.
- تساعد المتعلمين على مشاهدة أشياء عن قرب، وبالتفصيل، بدلا من الانتقال إليها مثل المناطق القطبية أو بيئات حضارية معاصرة.
- تبيّن للمتعلمين مظاهر حضارية من عصور قديمة من الصعب مشاهدتها في إلّا في بعض المتاحف، مثل أدوات الإنسان وأسلحته في عصور ما قبل التاريخ.
- يمكن من خلال الصور إظهار دقائق وتفصيلات بعض الأشياء والأماكن التي قد تكون الزيارة المباشرة أحيانا غير قادرة على بيانها

- تساعد المتعلم على ألّا يصرف وقتا طويلا في معرفة كثير من العلاقات المعقدة التي بين الإنسان وبيئته.
- تساعد المتعلمين على إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاستخلاص حقائق ومعلومات تزيد من فهمهم لما يدرسون.
- تسهم في استعادة أحداث وأمور حدثت من قبل، وتصحيح انطباعات خاطئة لدى المتعلمين

وقد حدّد فيرث قيمة الصورة البيداغوجية في كونها:[30]

- تقدم الحقائق العلمية في صورة بصرية.
- تقدم للمتعلم فرص المقارنة والتأمل، وتمده بسبل التفكير الاستنتاجي فضلا عن كونها أساسا معرفيا لغير القادرين على الاستنتاج انطلاقا من القراءة المباشرة فقط.
- إنها عنصر تشويق، تحمل مضامين الخطاب وتوضح أفكاره وتيسر فهمه وتبسط المعلومات للأطفال.

كما يرى كل من براون و ويتشن و كاريلتون، أنّ أهمية الصورة البيداغوجية تكمن في أنها:[31]

- متعدّدة الأنماط وأساليب العرض والشكل.
- العامل المشترك بين أغلب العروض التعليمية.
- سهلة وسريعة الإنتاج ويسهل إيجادها والحصول عليها.

الوظائف المعرفية للصورة البيداغوجية:

يرى الباحث (Levin nachPeek Joan) أنّ هذه الوظائف ثلاثة أنواع أساسية–كما ترجمها الدكتور عبدالجليل أميم- هي :[32]

- **الوظيفةالإظهارية (التجسيدية) :**

ومقتضاها أنّ الصورة تعمل على تجسيد المعلومة المكتوبة في شكل مجسّم ملموس، إنّها تنتقل من اللفظ المقروء إلى المجسم المنظور، أي أنها تعرض الأشياء على الناظر إليها على هيئتها وشكلها الحقيقيين متجاوزة بذلك الكلمات والجمل، إنها تعرض الأحداث على ماهيتها الحقيقية متخلصة من صعوبة تأويل الكلمات. وتظهر أهمية هذه الوظيفة البيداغوجية عندما يتعلق الأمر بظواهر وأحداث يصعب على الكلمة المنطوقة المقروءة شرحها وتوضيحها، كعرضها للظواهر الطبيعية وكذا مواضيع العلوم البيولوجية وغيرها. بل إنّ دورها البيداغوجي يكون مركزيا في العملية التربوية بروض الأطفال والمرحلة الابتدائية. ذلك أن هذه الصور تصبح ضرورة تعليمية نظرا لأنّ البنى المعرفية التي تنظّم الأحداث أو ما يسمى عند السيكولوجيين بالخطاطات تكون في المراحل الأولى من تطورها الارتقائي عند الطفل، إذ يعتمد بشكل كبير في هذه المرحلة على الحواس، ممّا يجعل من توظيف الصورة ضرورة بيداغوجية لتفادي تجريدية الكلمة وتعقيدها، كذا لتسهيل سيرورة استيعاب الطفل للعالم الخارجي. هنا تقدّم الصورة بديلا عمليا للنص المكتوب.

- **الوظيفة الإيضاحية:**

ومقتضاها أنّ للصورة دور الإيضاح للنصوص صعبة الفهم، فهي تساعد على جعل المجرد المكتوب مجسدا يُرى ويُنظر، كما أنّها تساعد على الأقل بحكم عرضها للحدث دفعة واحدة على توفير السياق اللازم الذي يجعل النصوص سهلة الاستيعاب والاستدخال، فتقدم للطالب أو التلميذ المعلومات في شكل صور بصرية متجاوزة أحادية الإيضاح في الكتابة.

بعد آخر في هذه الصور يتجلى في كونها تحرك لدى الناظر ما يسمى بـVorwissen أي المعرفة القبلية، أو لنقل بصياغة أفضل إنها تتوجه إلى المخزون المعرفي في الذاكرة فتحرك تراكمه بكل أبعادها المختلفة من أشكال، وألوان، وحركة، وظل، وزوايا، وما إلى ذلك من مكونات الصورة الثابتة أو المتحركة. فيبدأ المتعلم بالتأمل والتحليل والمقارنة مشغلا بذلك كل تراكمات نموّه المعرفي.

كما أنّ الصورة تكون أكثر تلاؤما مع أولئك الذين يجدون صعوبة في التعامل مع النص المكتوب، وهنا يمكن الإشارة إلى التقسيمات التي تتبنّاها البرمجة اللغوية العصبية فيما يسمى بالأنظمة التمثلية عند الإنسان. ذلك أنّ الناس يتمثلون المعلومات ويستدخلونها ويستوعبونها بالاعتماد أساسا على الحواس. والذاكرة تستدعي المعلومات بنفس الطريقة التي استقبلتها وخزّنتها بها بالرغم من اشتراك الحواس الخمسة في عملية الإدراك، لأنّ لكل نظام تمثّلي دور خاص به، بل إنّ البشر يختلفون في أنظمتهم التمثلية، وقد يغلب نظام معيّن على نظام آخر، وفي هذه الحالة تتحدث البرمجة اللغوية العصبية عن نظام التمثل الأولي. والدراسات أوضحت في هذا الباب أنّ % 55 من الناس يعتمدون أساسا على ما يرون، أي أنهم ذوو نظام تمثّلي أولي بصري، و% 15ذوو نظام تمثّلي سمعي، و% 30 يعتمدون على ما يحسون به ماديا أي أنّ نظامهم التمثلي الأولي حسي. ومن ثمّ فإن توظيف الصورة في العملية التعليمية التعلمية يصبح أمرا ضروريا لأنه يساعد المتعلم على استدعاء معارفه المخزنة خصوصا إذا اجتمعت الصورة والصوت أي الصورة المتحركة، إذ يصبح جزء كبير من ذاكرة الإنسان في حالة استنفار إيجابي، دافعا المتعلم إلى التأمل والتحليل وتطوير شخصيته في كل أبعادها المعرفية والوجدانية والحركية.

- **الوظيفة التنظيمية:**

المقصود هو أنّ الصورة تُتيح للمتعلم النظرة الشمولية، أو لنقل أنّها تمكّنه من النظرة الكلية عوض النظر إلى الأجزاء، فأوّل ما يثير في الصورة هو كليّتها، ثمّ بعد ذلك أجزاؤها. ذلك أنّ بنية الصورة تتألف من كل يمكن تقسيمه إلى أجزاء ثم إلى أجزاء الأجزاء، وهذا بالضبط ما يمكن المتعلم من إدراك الكل جملة واحدة وبسرعة متناهية، كما تمكنه من النظر في بنية هذا الكل والعلاقة بين مكوناته. إنّها منظمة بشكل طبيعي بعكس النص الذي قد يساهم كاتبه بشكل من الأشكال في تغيير بنيته الأصلية وتقديم أجزاء على أخرى، وإن كان هذا قد يحدث ذلك في الصورة خصوصا الصورة الاصطناعية (وهي الصورة التي تؤخذ بناء على اتفاق سابق بين المصور والمصوَّر، إذ يختار الذي يقع عليه فعل التصوير الشكل الذي يريد أن يظهر به والمكان والزاوية والملبس والهيئة)، إلاّ أنّ الصورة التعليمية تكون مقصودة، وتستجيب لشروط الفعل التعليمي التعلمي.

وقد أضاف Peeck Johnإلى الوظائف السالفة الذكر وظيفتين اثنتين للصورة البيداغوجية هما[33]:

- **الوظيفة التوجيهية:**

ويقصد به أن للصورة وظيفة توجيهية خصوصا إذا كانت مصاحبة لنص مكتوب.فقد توجه اهتمام المتعلم إلى الغرض المقصود بإرسالها لإشارات مباشرة عن مضامين النص قبل قراءته.بمعنى أنّ الصورة توجه فهلم الناظر إليها إلى مضامين بعينها. وهنا وجب التأكد من مدى ارتباط الكلمة بالصورةقبل توظيفها قصد الإيضاح.

- **الوظيفة التحويلية:**

ويرى Peeckأنه لتسهيل عملية التخزين والتذكر خصوصا عندما يتعلق الأمر بتعلم كلمات أو مصطلحات صعبة الحفظ، قد تلجأ بعض الصور إلى توظيف تقنية ربط هذه الكلمات بما يشبهها من رسومو صور تشكل ما يسمى في البرمجة اللغوية العصبية بالرابط العصبي الذي بمجرد حضوره تنساب كلالكلمات والمعلومات المرتبطة به.

شروط اختيار و وضع الصورة البيداغوجية:

تراهن الصورة بصفة عامة في شتّى مجالات اشتغالها على الفعالية وقوّة التأثير وتوصيل المعلومة، إلّا أنّه في المجال التعليمي يوصى بالحذر في اختيار الصور التي ستوضع بين يدي المتعلم، وذلك نظرا لخصوصية هذا المجال، لذلك تخضع الصورة البيداغوجية لمجموعة معايير وأسس تضمن فاعليتها وجودتها "منها:[34]

- ضرورة احترام القيّم والمضامين الثقافية للمتعلمين، والتعرف عن كثب على مميزات وسطهم وتجاربهم.
- التوافق أو التناسب بين الصور وسن المتعلمين، مع توخي البساطة عندما تكون موجهة للصغار.
- خضوع عملية الإعداد والاختيار لنوعية الأهداف المتوخاة.
- أن تشكل الصور والرسوم إضافة إلى النصوص، إذ يمكن الاستغناء عنها إن لم تكن كذلك.
- أن يتم ضمان جل الشروط التي تيسر على المتعلم إدراك الصورة.
- ضرورة استبعاد الصورة المركبة، وتمثيلها من خلال صور أو رسوم متعددة ومتسلسلة.
- ضرورة وجود تكامل وتناسب بين النصوص والصور والرسوم التي تصاحبه.
- أن تكون الألوان المتضمنة في الرسوم والصور جذابة ومتّسمة بالوضح.
- مراعاة قوانين وقواعد الإدراك، كما حدّدها المتخصصون.
- تلافي الغموض والعشوائية في وضع الرسوم وفقا لاتجاه القرّاء في الصفحة، من اليمين إلى اليسار أو العكس.
- ضرورة ترقيم الصور إذا كانت تمثل أحداثا أو وقائع متسلسلة كصور تمثل مراحل نمو الجنين أو تبخر المياه ...

- عدم إبعاد الرسوم والصور عن النصوص المتعلقة بها، وعدم إدماج الرسم داخل متن النص، مع ضرورة الاحتفاظ ببياض بين الصورة والأخرى.
- إذا كان النص أهمّ من الصورة يوضع النص في الصفحة اليسرى، وتعكس العملية إذا كانت الصورة أهم من النص.

الخاتمة:

إنّ تزايد الاهتمام بتضمين الصور في الكتاب المدرسي المنسجمة مع المحتوى التعليمي المقصود عبر الجمع بين اللغة اللفظية وغير اللفظية، يهدف إلى الحرص على جعل عمليتي التعليم والتعلم أكثر وضوحا وفاعلية، وأبقى أثرا، وذلك بتفعيل تواصل بين المعلم والمتعلم، وبين المتعلمين أنفسهم، وزيادة التواصل المعرفي لديهم، وهذا يتطلب من المعلم أن يتقن مهارات التعامل مع الوسائل التعليمية، وأساليب التوظيف السليم لها، كما يجب تدريب المتعلم على قراءة الصورة كما يتعلم قراءة الكلمة، لأن محتواها يحمل أفكارا ومفاهيما ومعلومات يصعب على الكلمة حملها أحيانا[35]

هوامش الدراسة :

1- شاكر عبدالحميد: عصر الصورة –الإيجابيات والسلبيات-، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2005، ص: 06.
2- جميل حمداوي: الصورة التربوية في الكتاب المدرسي المغربي، مجلة علوم التربية، العدد58، يناير 2004، ص: 44.
3- قدور عبدالله ثاني: سيميائية الصورة –مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم-، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، ط1، 2005، ص: 19.
4- ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر، بيروت-لبنان، 2003، ص:
5- نفسه.
6- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: الدلالة والمعنى في الصورة، دار الخلدونية القبة-الجزائر، الطبعة الأولى 2009، ص: 70.
7- نفسه، ص: 70.
8- محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت-لبنان، دط، دت، ص: 214.
9- بدرة كعسيس: مذكرة ماجستير بعنوان سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية، جامعة سطيف، الموسم الجامعي 2010/2009، ص 27.
10- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: الدلالة والمعنى في الصورة، ص: 71.
11- قدور عبدالله ثاني: سيميائية الصورة، ص: 206.
12- نفسه، ص: 21.
13- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: الدلالة والمعنى في الصورة، ص: 72.
14- قدور عبدالله ثاني: سيميائية الصورة، ص: 26-27.
15- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: الدلالة والمعنى في الصورة، ص: 72.
16- شاكر عبدالحميد: عصر الصورة، ص:15.
17- جميل حمداوي: أنواع الصورة، شبكة الألوكة، إليكتروني www.alukah.net.
18- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: الدلالة والمعنى في الصورة، ص: 86.
19- جميل حمداوي: أنواع الصورة، ص: 8-9.
20- نفسه، ص: 14.
21- قدور عبدالله ثاني: سيميائية الصورة، ص: 239.
22- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: المعنى والدلالة في الصورة، ص: 86.
23- جميل حمداوي: أنواع الصورة، ص: 11.

24- سعيد بن كراد: الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2009، ص: 45.
25- عبيدة صبطي ونجيب بخوش: المعنى والدلالة في الصورة، ص: 89.
26- قدور عبدالله ثاني: سيميائية الصورة، ص: 235.
27- سمير الزغبي: سيميولوجيا الصورة الإشهارية، إلكتروني http://www.ahewar.org
28- جميل حمداوي: أنواع الصورة، ص: 19.
29- عفت مصطفى الطنطاوي: التدريس الفعال –تخطيطه مهاراته إستراتيجياته تقويمه-، دار المسيرة، عمان-الأردن، ط3، 2013، ص: 107.
30- ينظر: عبدالمجيد سيد أحمد منصور: علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق-سوريا، دط، 1989، ص:10.
31- نفسه، ص: 11.
32- عبد الجليل أميم: الوظائف البيداغوجية للصورة في الكتاب المدرسي –مع نموذج إجرائي لمقاربة ظاهرة العنف، موقع الدكتور عبد الجليل أمين: www.abdeljalilamime.com ص: 3-5.
33- نفسه، ص:05.
34- عبد اللطيف الجابري، عبدالرحيم أيتدوصو: الكتاب المدرسي –تقنيات الإعداد وأدوات التقويم-، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص: 31-32.
35- ينظر: صالح أبو إصبع آخرون: ثقافة الصورة الإطار النظري-الصورة والتربية-، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ط1، 2008، ص: 147.